

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف
مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة والأخلاق في ضوء التفسير القرآني
-رسائل النور أنموذجاً-

م.د. حيدر خليل الخالدي م.د. عمار يوسف العباسي

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

تاريخ القبول

٢٠١٤/٣/٥

تاريخ الاستلام

٢٠١٤/١٢/١٦

الملخص

من البديهي ان يحمل علماء الامة الإسلامية همومها، ويحاولوا النهوض بأبنائها، ومعالجة مشاكلها وتنقية ماء نبع الإسلام من الشوائب والادرن التي علقته به، وذلك عن طريق بث اخلاقيات القرآن ونشر تعاليم السنة المطهرة بين صفوف ابناء الامة، وكان من بين هؤلاء العلماء الاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي الذي جعل التربية الايمانية وسيلة العروج الى الانسانية الحقة من خلال رباط العبودية لله تعالى، وثبت عند النورسي ان اساس هذا الطريق بما ورد في القرآن الكريم من مقاصد وحكم وهي حقيقة مبنوثة في كل مؤلفاته ؛ إذ لا تكاد تخلو صفحة من الدلالة عليها عبارة وإشارة، حيث سلك النورسي فيها بخطابه لتربية الانسان وتهذيب سلوكه اساليب شتى وطرائق مختلفة استوحاها بشكل او بأخر من القرآن، وهدفنا من البحث ماهدف إليه الأستاذ النورسي من إيقاظ التفاعل الايماني والأخلاقي والسلوكي من مقام العبودية المبين في القرآن الكريم مقاصدياً وهدفاً لدى أبناء الأمة الإسلامية ؛ للعيش بذلك في ظل حياة يسودها السلام والوئام والاطمئنان .

وقد تم تقسيم البحث على تمهيد ومبحثين أوردنا في التمهيد ما يبين ولو بشكل مختصر التعريف بحياة النورسي وما يتعلق برسائل النور، وذكرنا في المبحث الاول ما يؤصل ولو بشكل موجز ما لمقاصد القرآن عند بعض علماء أمتنا من دور بارز في ترسيخ معنى العبودية والأخلاق في نفوس أبناء الأمة، وأما المبحث الثاني فقد بينا فيه مقاصد القرآن في ضوء بعض تفسيرات النورسي ودورها في ترسيخ حقائق الإيمان والسلوكيات الأخلاقية الحقة الموصلة إلى معنى العبودية المرجوة والمعبر عن حقيقتها في القرآن الكريم .

والله تعالى نسأل أن يوفقنا لما فيه خير العباد ويهدينا سبيل الرشاد ويؤمّن خوفنا يوم المعاد إنه كريم رحيم جواد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

التمهيد : تعريف بحياة النورسي ورسائل النور

أولاً : تعريف بحياة النورسي :

١- ولادته وأسرته :

ولد بديع الزمان سعيد بن ميرزا بن علي النورسي سنة (١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م)^(١) في قرية صغيرة تسمى (نورس) -والتي منها اكتسب لقبه (النورسي) واشتهر به- شرقي الأناضول بكرديستان تركيا^(٢)، وأما أسرته فهي عائلة كردية متوسطة الحال تشتغل بالزراعة وتملك بعض المواشي والابقار اشتهرت بالتقوى والورع حتى انه يضرب بها المثل^(٣) .

٢- تحصيله العلمي :

إن من الطبيعي أنه لما تربى النورسي في بيت يحب العلم ويحترم اهله، وترعرع في اسرة متدينة فان هذا قد يسر له منذ الصغر ان ينشأ نشأة قائمة على مبادئ الدين وتعاليمه حتى في صباه^(٤)، فسعى في سنتي (١٨٩١-١٨٩٢م) الى الدراسة الجادة والمتقنة واستطاع من خلالها أن يحفظ أمات الكتب في علوم الشريعة أخذاً العلم عن خيرة مشايخ المنطقة، حتى أبدى نكاه منقطع النظر وحفظاً قل له مثيل مما دعا مشايخه تأجيذه بالإجازة العلمية بالعلوم العقلية والنقلية وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره حتى أطلقوا عليه (بديع الزمان وسعيد المشهور)^(٥)

٣- مشروعه الإصلاحية ومراحل حياته :

وبعد أن أصبح النورسي مستعداً للانطلاق في الدعوة إلى الله تعالى وجاهزاً للتدريس والتعليم أخذ واجبه الشرعي الذي ألقى على عاتقه من الدعوة والتعليم والتدريس والإصلاح بين الناس منتقلاً ما بين المحافظات الشرقية لتركيا، وفي خلال هذه المدة الممتدة

(١) ينظر : سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، اعداد وترجمة احسان قاسم الصالحي:

. ٣٥

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٣٥، والاسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي،

شكران واحدة : ١٥، وسعيد النورسي رجل القدر في حياة امة، اورخان محمد علي : ٨ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه: ٣٥، ٣٩، ومن الفكر الى القلب، محمد سعيد رمضان البوطي :

٣٠٣، وسعيد النورسي رجل القدر في حياة امة : (١١، ١٢) .

(٤) ينظر : صيقل الاسلام بديع الزمان سعيد النورسي، اعداد وترجمة احسان قاسم

الصالحي: ٣٥٠ .

(٥) ينظر : سيرة ذاتية : (٤٥ - ٥٢)، والاسلام على مفترق طرق (تاريخ حياة سعيد

النورسي)، شكران واحدة : ١٧ .

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٨٩٧م وضع طريقة خاصة به في التدريس، وتتركز هذه الطريقة على اعطاء الحقائق الدينية ممزوجة بالعلوم الحديثة بأسلوب قريب لمدارك ابناء هذا العصر واثباتها بأوضح اسلوب وعرضها بما يلائم تفكيرهم^(١).

وبعد هذه المدة التي أطلق عليها حياة (سعيد القديم) بدأت مرحلة جديدة في سفر النورسي سماها بـ(سعيد الجديد) ويمكنني أن أصفها بمرحلة تجديد الفكر والاضطهاد ابتدأت سنة ١٩٢٦م انطلق من خلالها في بناء جديد تكون قاعدته الأساسية جيلاً قرآنياً مهيباً تهيئاً كاملاً لاستلهم نور القرآن ومعداً بعدة العقيدة الإيمانية الراسخة، فقام النورسي بالتوجه نحو تفسير القرآن تفسيراً يبين فيه حقائق الإيمان ومقاصد القرآن بما سماه رسائل النور ومن هنا بدأ الاضطهاد والتعسف الفكري والجسدي حيث المضايقة والسجن والإقامة الجبرية والمحاكمات المستمرة استمرت حتى سنة ١٩٤٩م^(٢) ليبدأ سفر هذا الشيخ الجليل بمرحلة جديدة سماها هو نفسه سعيد الثالث يمكن ان توصف بانها (مرحلة عيد رسائل النور وتحرر الروح) وهي قائمة ما بين سنة ١٩٤٩م وسنة ١٩٦٠م انتهت بوفاة الاستاذ سعيد النورسي، وتحرر روحه من سجنها الطيني وانتقلت الى بارئها العلي القدير، فعليه من الله سبحانه الرحمة وشأبيب المغفرة^(٣).

ثانياً : تعريف برسائل النور مؤلف الأستاذ النورسي :

رحل النورسي مخلفاً ارثاً لا يُقدر بثمن ولا يمكن ان يقال عنه إلا انه صدقة جارية ينتفع بها الى يوم القيامة تلك هي رسائل النور، وتعريف رسائل النور لا يمكن ان نستقيه الا من الاستاذ النورسي نفسه حيث يقول عنها : "ان رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم وتفسير قيم له، وهي لمعة براقعة من لمعات اعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس وحقيقة ملهمة من كنز العلم وترجمة معنوية من فيوضاته"^(٤) .

وتتألف هذه الرسائل من مائة وثلاثين ونيف رسالة كتبت باللغة التركية مع خمس عشرة رسالة كتبت باللغة العربية، وقد هيا الله تعالى ما كان يرجوه الاستاذ النورسي من ترجمة رسائله الى العربية .

أما عن عدد مجلدات رسائل النور فبلغت ثمانية مجلدات مع مجلدين ملحقين هما السيرة الذاتية وملحق الفهارس أما عن المجلدات الثمانية فالأول هو (الكلمات) والثاني

(١) ينظر : سيرة ذاتية : (٦٢-٦٤)، والاسلام في تركيا الحديثة : (٥٥-٥٦) .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : (٢٣٤-٤٣٦) .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : (٤٣٦-٤٦٨)، وسعيد النورسي رجل القدر : (٢٧٧-٣٢٢) .

(٤) الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، اعداد وترجمة احسان قاسم الصالحي : ٢٢٠ .

(المكتوبات) والثالث (اللمعات) والرابع (الشعاعات) والخامس (اشارات الاعجاز) والسادس (المثنوي العربي النوري) والسابع (الملاحق في فقه الدعوة) والثامن (صيقل الإسلام) .
ومن البداهة ان يكون لكل كتاب مؤلف مهما كانت صفحاته ومجلداته مصادره التي اعتمد عليها فيه، ومراجعته التي استقى صاحبه منها معلوماته، ولا بد من الاشارة الى ان عناية الاستاذ النورسي في (القرآن الكريم والسنة النبوية) كانت كبيرة ومصدرين اساسيين ورئيسيين فإن منبع ومصادر الامام النورسي هو القرآن الكريم، ومرشده هو الرسول الكريم ﷺ وسبيلها هو السبيل القويم لأهل السنة والجماعة^(١) اضافة الى بعض العلوم والمعارف التي ربطها مع العلوم الشرعية حتى استطاع ان يسلك منهجاً جديداً في التعليم والتأليف^(٢) وبهذا ينجلي ويتراءى لنا ما استند عليه الاستاذ النورسي في رسائله ولاشك ان ذلك يؤدي الى رصانتها ودقتها وقلة اخطائها ومزلقها، وبالتالي يؤدي ذلك الى الغاية المنشودة من ابراز حقائق الايمان ومقاصد الشريعة والقرآن .

المبحث الأول

دراسة موجزة في مقاصد القرآن الكريم

مدخل :

إن توضيح المقاصد القرآنية والمرامي العامة منه ضرورة لازمة وغاية مهمة وعمل منهجي في تفسير القرآن الكريم، لما لذلك من اثر مترتب عليه وهو أن القارئ للقرآن الكريم يريد التحقق من مفهوم العبادة لله تعالى ويتوثق من المنهج الرباني في الأخلاق والسلوكيات ليهيئ إقامة البنیان الإنساني والعمران الإسلامي، كما وإن أكثر الحاجات التي تتطوي تحت معرفة مقاصد القرآن الكريم وحكمه هو الامتثال لأوامره ونواهيه وخضوعه لأحكامه الاعتقادية والتشريعية، وعليه توجه علماء الأمة في تفاسيرهم وكتبهم إلى بيان مقاصد القرآن، فنظرة القرآن مقاصدياً تتوجه نحو الإنسان كجماعة وأفراد نظرة تكاملية من جميع وجوه الهداية والفلاح في الدنيا والآخرة وهذا ما توجه إليه الأستاذ النورسي في أغلب تفسيراته التي سنورد بعضها في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى، وأما ما نريد الحديث عنه في هذا المبحث فيدور حول تعريف مقاصد القرآن الكريم لغة واصطلاحاً، وتقسيماتها عند بعض علمائنا وأهميتها في التحقق بالعبادة، وبيان ذلك فيما يأتي بشكل موجز :

(١) ينظر : منهج وطريقة رسائل النور وغاياتها، شتر ذلك، ترجمة اورخان محمد علي، وقائع

ندوة بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الاسلامي، استانبول،

١٩٩٢م : ١٢٥ .

(٢) ينظر : دور كليات رسائل النور في يقظة الامة، خديجة النبراوي : ١١٠ وما بعدها .

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف
المطلب الأول : تعريف مقاصد القرآن لغةً واصطلاحاً :
أولاً : المقاصد لغةً :

يرجع أصل هذه الكلمة الى مادة (قصد)، جاء في لسان العرب : (أصل {ق ص د} ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء على الاعتدال كان أو على جور هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل ألا ترى أنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى ؟ فالاعتزام والتوجه شامل لهما^(١)).

وجاء في معجم لغة الفقهاء أن (المقصود بفتح الميم اسم مفعول من قصد إليه : توجه والمقصود الغاية التي يريد بها المتصرف، ومقصود الشارع : غايته وهدفه)^(٢)، إذن المقاصد الغايات وهي على وزن مفاعل بفتح الميم .

ثانياً : مقاصد القرآن اصطلاحاً :

بناءً على ما مرّ من تعريف المقصد أو المقاصد في اللغة نعلم أن التعريف الاصطلاحي له علاقة بالغايات والأهداف ولم أجد -حسب علمي- قديماً وحديثاً من عرف مقاصد القرآن تعريفاً اصطلاحياً إلا أن عدداً من العلماء صرح بذكر مقاصد للقرآن الكريم منهم الامام الغزالي والامام الرازي المفسر وسيأتي ما ذكره في المطلب الثاني والامام العز بن عبد السلام^(٣) وأبو الأعلى المودودي وسيأتي بيان ما ذكره في المطلب الثاني أيضاً والشيخ محمد رشيد رضا^(٤) والشيخ محمود شلتوت^(٥)، ويمكن أن يحدد تعريف مقاصد القرآن الكريم اصطلاحاً من خلال ما ذكره بعض العلماء في تعريف مقاصد الشريعة، قال ابن عاشور: (مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو

(١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الافريقي : ٣/٣٥٥،

وينظر : المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي : ٦/١٨٧،
وتاج العروس من جواهر القاموس ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني
المعروف ب المرتضى الزبيدي : ٣٦/٩ .

(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، حامد صادق قنبيبي : ٤٥٤ .

(٣) ينظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين بن عبد السلام : ٨/ ١،

(٤) ينظر : تفسير المنار، محمد رشيد رضا : ١١/ ١٧٠ - ٢٠٦.

(٥) ينظر : إلى القرآن الكريم، محمود شلتوت : ٦ .

معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة^(١) ومن المراجع الحديثة أيضاً التي كتبت في بيان المرامي والغايات من سور القرآن الكريم وآياته بأنها: الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد^(٢).

المطلب الثاني : مقاصد القرآن عند بعض العلماء

ذكر بعض العلماء في مقاصد القرآن الكريم وما لها من دور وأثر في تحقيق العبادة وترسيخ الأخلاق المحمودة في نفس الإنسان وقد وقع اختيارنا على ثلاثة علماء كبار اشتهروا اشتهاراً واسعاً في الحقل الشرعي والدراسة القرآنية وهم الإمام الغزالي والإمام الرازي والإمام أبو الاعلى المودودي والإمام محمد شلتوت .

أولاً : الإمام أبو حامد محمد الغزالي :

ذهب الإمام الغزالي (رحمه الله) في كتابه جواهر القرآن إلى أن هدف القرآن الكلي ومقصده الأعظم هو بيان معرفة الله تعالى، وأن كل العلوم تتفرع من هذه المعرفة، ثم يذكر الإمام الغزالي مقاصد القرآن ونفائسه وأرجعها إلى ستة أقسام : ثلاثة منها أصول مهمة، وثلاثة أخرى توابع متممة، فأما الأصول المهمة فأولها : تعريف المدعو إليه، والثاني : تعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، والثالث : تعريف الحال عند الوصول إليه، وأما الثلاثة المتممة فالأول : تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم، والثاني : حكاية أحوال الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحااجة على الحق، والثالث : تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والأهبة للاستعداد^(٣) .

فيلاحظ من هذا التقسيم أن الأمام الغزالي قسم مقاصد القرآن إلى ستة أقسام ثلاثة تتعلق بالله تعالى توحيداً له وتحقيقاً بسلوك الطريق الموصلة إليه وتدوقاً بحال المعية معه سبحانه وتعالى، وهذه الأقسام الثلاثة المهمة، وأما الثلاثة المتممة فتتعلق بالإنسان نفسه ما له وما عليه من ثواب وعقاب وما يوصل إليهما من خير وشر . وإذا أمعنا النظر في القرآن الكريم سنجد هذه المقاصد في كل آية منه، وما لهذه المقاصد من أثر بالغ في توجيه الإنسان توجيهها سلوكياً من جميع جوانب الحياة في الدنيا .

(١) مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور : ٥١، وينظر : التحرير والتتوير، محمد

الطاهر بن عاشور : ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١

(٢) ينظر : المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي : ٣١ .

(٣) ينظر : جواهر القرآن، ابو حامد محمد الغزالي : ١٥ .

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف

ثانياً : الإمام فخر الدين الرازي :

ذهب الإمام الرازي (رحمه الله) إلى أن مدار القرآن قائم على أربع مسائل : الإلهيات، والنبوات، والمعاد، والقضاء والقدر، ويشير إلى أن هذه الأربع إنما هي مقصود القرآن الكريم كله^(١)، فقال : (إعلم أن المقصود الأعظم من هذا القرآن العظيم تقرير أصول أربعة : الإلهيات، والنبوات، والمعاد، وإثبات القضاء والقدر، والمقصود الأعظم من هذه الأصول الأربعة تقرير الإلهيات...)^(٢)، فيلاحظ من كلام الإمام الرازي أن من تحقق بهذه الأصول الأربعة واعتقد بها اعتقاداً صحيحاً قائماً على ما يجب تصوره كما جاء في القرآن وعليه أهل السنة والجماعة فإن ذلك سيكون سبباً للسعادة الأخروية وطريقاً للفلاح والنجاح في الدنيا .

ثالثاً : أبو الأعلى المودودي :

يرى المودودي أن جماع دعوة القرآن هو أن الله تعالى هو الإله الواحد الأحد، والرب الفرد الصمد لا إله إلا هو، ولا رب سواه، ولا يشاركه في ألوهيته ولا في ربوبيته أحد^(٣)، وإن القارئ للقرآن المنتبِع لآياته يحس أن ما نزل به القرآن الكريم لا يدور إلا على هذه المصطلحات الأربعة : الإله، الرب، العبادة، الدين . ولا بد لمن يدرس القرآن أن يتفهم معانيه الصحيحة بمعرفة هذه المصطلحات التي تمثل مقاصد القرآن الكريم^(٤)، وهو حديث يتوجه إلى بناء التصور الاعتقادي الحق لهذه المصطلحات المنتشرة في آيات القرآن الكريم عند الإنسان المخاطب بها، فتستقيم حياته ويعيش وفق المنهج الرباني الذي ارتضاه له وبالتالي ينال السعادة في الحياة الأخروية .

رابعاً : محمود شلتوت :

يحدد العلامة محمود شلتوت مقاصد القرآن الكريم في ثلاثة أمور وهي : العقائد والأخلاق والأحكام فيقول : (إن مقاصد القرآن تدور حول نواح ثلاثة ناحية العقيدة وناحية الأخلاق وناحية الأحكام)^(٥) .

ثم يمضي محمود شلتوت لبيان أهمية هذه النواحي فيجعل من ناحية العقيدة مقصداً قرآنياً الهدف منه إصلاح العقائد كتطهير القلوب من بذور الشرك والوثنية وما يجب الإيمان به

(١) ينظر : مفاتيح الغيب، فخرالدين محمد بن عمر الرازي : ١٧٦/١ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٢/٢٠، وينظر : (١٨٤/٢٠، ٢١/٢١-٣١) .

(٣) ينظر : المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي : ٣ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه: ٧ .

(٥) إلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت : ٦ .

في حق الله من صفات الجلال والجمال، وما يجب اعتقاده في حق الانبياء وكذا الامور الغيبية .

وأما ناحية الأخلاق فيهدف القرآن من خلالها - كما يقول - إلى تهذيب النفس وتزكيتها ورفع عرى التعاون التآخي بين بني الإنسان وهي كثيرة تشمل الصدق والصبر والوفاء وغيرها مما يحقق في الانسان ثمره إيمانه بالله وصفاته التي يجب أن يكون عليها عباده . أما الأحكام فهي ما بيّنه الله في كتابه، أو بيّن أصوله في النُظم التي يجب اتباعها في تنظيم علاقة الانسان بربه، وعلاقته بأخيه الانسان وتشمل : أحكام العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها مم يدخل في دائرة العبادات التي تغذي الإيمان وتتمي ثمراته الطيبة، وأحكام المعاملات وما يتعلق بها من تعامل الإنسان بأخيه الإنسان من بيوع وأحوال شخصية بما ينظم الحياة الفردية والاجتماعية، وأحكام الجنايات والعقوبات، وأحكام الحرب والسلام وما يدخل في دائرة الأحكام الدولية العامة^(١) .

والناظر في المقاصد القرآنية التي ذكرها العلماء وجعلناها نماذج في بحثنا يدرك أن موضوعها الإنسان في مختلف المستويات يهيئ له القرآن التصور الحق للوجود ويبين له أساس الاعتقاد الحق، وأنه مخلوق مكرم وأطلق له العنان في تزكية نفسه ؛ لينطلق الإنسان الفرد من ذلك إلى بناء الأسرة الراشدة وإنشاء أمة الشهادة، وبيان الطريق الحق لهداية البشرية وتأسيس مبدأ التعاون بين أممها وشعوبها، وهذه نظرة موضوعية وشاملة إلى مقاصد القرآن خاصة وأن موضوعها الرئيس هو الإنسان الفرد والإنسان الجماعة . وبمعنى آخر وهو أنّ مقاصد القرآن التي ذكرت فضلاً عما ذكره علماء آخرون توجب على الإنسانية سلوكاً وتصرفاً معتدلاً مستقيماً تجاه الخالق والمخلوق بكل مفاصل الحياة من واجب وغيره .

المبحث الثاني

مقاصد القرآن في رسائل النور ودورها في تحقيق العبادة والأخلاق

لقد تناول الاستاذ النورسي في رسائله العديد من الموضوعات والمسائل تعود بمجملها الى معالجة اركان الايمان المتعددة ومظاهر الاخلاق الانسانية التي كان لابد من تغييرها لإتقان الايمان مما شابه من ادران وأوساخ في قلوب المسلمين، لذلك وضع الاستاذ النورسي جملة من المقاصد والأسس الكبرى والتي جاء القرآن لبيانها وتوضيحها في اوسع ساحات سورة وآياته، وقد صرح الاستاذ النورسي ببيان المقاصد الاساسية للقرآن الكريم في رسائل النور في قوله : (اعلم ! أنّ مقاصد القرآن الاساسية، وعناصره الاصلية اربعة : التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية فيصير سائر المسائل وسائل هذه

(١) ينظر: إلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت: ٦ - ٧ .

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف المطالب^(١)، وقد صرح الاستاذ ايضا في مواضع كثيرة ان مقاصد القرآن الاساسية تدور على اربعة اقطاب وذكر هذه المقاصد الاربعة ووضح بان سر امتلائه من التوحيد، التأم وامتزج وانتظم واتحد^(٢)، وهذه المقاصد الاساسية جعلت لخدمة الانسان معرفياً واجتماعياً وحتى انسانياً؛ فالإنسان عند الاستاذ النورسي مقصد المقاصد والغاية التي ينشدها والهدف الاساسي الذي يسعى اليه سعياً حثيثاً، إذ اعتبر الانسان اعظم المقاصد الالهية في الكون، وهو المؤهل لإدراك الخطاب الرباني، وقد اختاره سبحانه وتعالى من بين مخلوقاته، واصطفى من بين الانسان المكرم من هو اكمل وأفضل وأعظم انسان بأعماله وآثاره الكاملة ليكون موضع خطابه الجليل باسم النوع الانساني كافة، بل باسم الكائنات جميعاً^(٣).

وفيما يأتي بيان لهذه المقاصد الاساسية وبشكل موجز من خلال تفسير الأستاذ

النورسي لبعض الآيات القرآنية :

أولاً : التوحيد :

يذكر الاستاذ النورسي بان القرآن قد احتفى بمقصد التوحيد، واعتنى به عناية فائقة، تشهد له مستودعات الخالق الكريم في الخلق بمظاهره المادية والمعنوية، إذ يظهر التوحيد في كل شيء غايات كثيرة مهمة من جهة نظره الى صانعه، ومن تلك الغايات اظهار الشيء لأسماء خالقه كأن الشيء كلمة واحدة جامعة لرموز الاسماء فتدل عليها^(٤)، ومعرفة الله تعالى نقطة استناد وحيدة للإنسان تجاه تقلبات الحياة ودواماتها، وتزاحم المصائب وتوالي النكبات، إذ لو لم يعتقد الإنسان بالخالق الحكيم الذي أمره كله حكمة ونظام، أسند الأمور كلها إلى المصادفات العمياء وركن إليها وإلى ما يملكه من قوة هزيلة لا تقاوم شيئاً فسينتابه الفزع والرعب وينهار من هول ما يحيط به من بلايا، وهذا لا يتفق مع كمال روح الإنسان المكرم إذ يستلزم سقوطه في هاوية الذل والمهانة مما ينافي روح النظام المتقن القائم في الكون كله^(٥)، وعلى هذا الاساس فإننا نلاحظ ان رسائل النور قد احتشدت في الكثير من المواضع والعديد من هذه الرسائل مقصد التوحيد وبأساليب كثيرة ومتنوعة وبلغت بلغة واضحة ، نذكر منها على

(١) ينظر : المثوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي : ٧٥ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣، واشارات الاعجاز في مظان الايجاز، بديع الزمان سعيد النورسي : ٢٣ .

(٣) ينظر : للمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي : (٥١٦-٥٣٥) .

(٤) ينظر : المثوي العربي النوري : (٤٢٢-٤٦٦) .

(٥) ينظر : الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي : ٥٤٧ .

سبيل المثال ما فسره النورسي من قوله تعالى : «يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» [البقرة : ٢١ ، ٢٢]

دلالتها على أنواع البراهين في إثبات الصانع (جل جلاله)، إذ قال : (اعلم ان البرهان أما (لمي) وهو الاستدلال بالموثر على الأثر، وإما (إني) وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر، وهذا اسلم، وهو إما (إمكاني بالاستدلال) بتساوي الطرفين على المرجح، وإما (حدوثي بالاستدلال) بالتحول والتبديل على الموجد ... وكل منهما باعتبار ذوات الأشياء أو باعتبار صفاتها ... وكل منهما إما بإعطاء الوجود أو بإدامة البقاء ...، وكل منهما إما (دليل اختراعي) أو (دليل عنائتي) وهذه الآية إشارة إلى هذه الأنواع^(١)، ثم يمضي النورسي في تفصيل هذه الأدلة والبراهين التي انطوت دلالتها تحت هذا النص الكريم بكلام يدلل به على إثبات الصانع جل جلاله وتوحيد الواحد الأحد^(٢)، ومن الملاحظ على تفسيره لهذه الآية أنه صدرها بمقدمة أكد فيها على أهمية العبادة في ترسيخ العقائد ودورها في سعادة الدارين وفاعليتها في تنظيم المعاش و المعاد، وأثرها في الكمال الشخصي والنوعي وكل ذلك سببه الامتثال لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه المؤسس على إدامة التصور لعظمة الصانع وصاحب الملك في الأذهان^(٣)، ونجده حيناً آخر يربط ما بين عبادة ما وبين دورها في إظهار ربوبية الله وتوحيده وما لذلك من أثر واضح في الحياة الاجتماعية والشخصية وتربية النفس وتركبتها، وفي القيام بالشكر تجاه النعم الالهية وما الى ذلك من نكات تتطوي تحت هذه العبادة التي استتبطها من قوله تعالى : «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ...» [البقرة: ١٨٥]، فبين من خلال الآية حكمة صوم شهر رمضان وما تحتويه هذه العبادة من أثر في النفس البشرية على جميع الأصعدة^(٤) فجعل النورسي من العبادة مذكراً يتكرر وعملاً متجدداً لإدامة التصور لوحداية الله تعالى ورسوخ العقائد وسبر النفس البشرية وصقل صفاتها بأخلاق القرآن والإسلام، فالعملية عند النورسي مطردة بمعنى أن التأثير والتأثر بين مقصد التوحيد والعبادة والأخلاق عكسي فإذا أثر التوحيد في الإنسان تأثر في تحقيق العبادة وترسيخ المفاهيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة

(١) إشارات الإعجاز : ١٥٠ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : (١٥٠، ١٥٥) .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : (١٤٧، ١٤٨) .

(٤) ينظر : المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة، إحسان قاسم الصالحي،

المكتوب التاسع عشر (٥١٨-٥٢٧) .

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف
التي حث عليها الإسلام والعكس صحيح أيضاً، فيتضح الدور الكبير والمؤثر العظيم لمقصد
التوحيد في العبادة والأخلاق وتوثيقهما وتحققهما في الإنسان .
ثانياً : النبوة :

لما كانت الغاية من الشرائع والاديان السماوية هي توحيد الالهية والربوبية وتعريف
الخالق بموجدهم وخالقهم ورازقهم وبدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذه الغاية والمقصد لا يتأتى إلا بالواسطة إذ اقتضت حكمة الله
تعالى ان يوصل تعاليمه وشرائعه واحكامه عن طريق الوسائط وحيث انه لا وسائط للبشر إلا
الوحي والوحي ملك لا يتناسب في التبليغ والاختبار مع طبيعة البشر لاختلاف التكوين في
الخلق كان لابد ان يكون هناك وسائط اخرى تتناسب مع طبيعة البشر وعلى هذا الاساس
اقتضت حكمة الله تعالى ان يرسل رسلاً من البشر منذرين ومبشرين، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورى: ٥١]، وقال عز
من قائل : ﴿ ...رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾ [الانعام: ٤٨] .

فما دام الدين مرتبطاً بالوحي، ولا طريق إليه إلا النبوة ؛ لذلك كانت منزلتها وستبقى
سامية، لما لها من اهمية في التأسيس للارتباط بالدين والتعرف على مسالك العبودية^(١) .
لذلك نجد ان الاستاذ النورسي يجعل بين الايمان بالله والايمان بالنبوي والايمان
بالحشر والتصديق بوجود الكائنات تلازماً قطعياً وارتباطاً تاماً، للتلازم في نفس الامر، بين
وجوب الالهية وثبوت الرسالة، ووجود الآخرة وشهود الكائنات بدون غفلة^(٢) .

كما يشير الاستاذ النورسي الى حاجة مرتبة النبوة الى صفة العبودية ويعدها اهم
مظاهر الارتباط في النبوة مع الذات الالهية المكلفة والمنوطة لها بهذه المنزلة، ثم يشير ان
اكمل الخلق رسول الحق تبارك وتعالى ﷺ قد وصف بصفة العبودية وهي اكمل صفات البشر
من حيث جهة الالهية لا من حيث جهة البشرية، فهذا الرسول الكريم يحتاج الى الصلاة من
حيث العبودية ؛ إذ العبودية تتوجه من الخلق الى الخالق حتى تنال المحبوبة والرحمة،
فالصلاة تفيد هذا المعنى^(٣) .

ومن منطلق ما سبق يؤكد الاستاذ النورسي ان النبوة في البشرية فذللكة الخير،
وخلاصة الكمال واساسه، وان الدين الحق فهريس السعادة، وان الايمان حسن منزله وجماله

(١) ينظر : حقيقة مقاصد رسائل النور، عمار جيدل : (١٢٤-١٢٥) .

(٢) ينظر : المثوي العربي النوري : ٨٦ .

(٣) ينظر : الملاحق : ٦٧، وينظر : من قضايا القرآن والإنسان في فكر النورسي نظرة

تجددية ورؤية إصلاحية، زياد خليل الدغامين : ٨٨

مجرد وحيث إن حسناً ساطعاً، وفيضاً واسعاً سامياً، وحقاً ظاهراً، وكمالاً فائقاً مشاهد في هذا العالم، فالبداهة يكون الحق والحقيقة في جانب النبوة، وفي يد الانبياء عليهم السلام، وتكون الضلالة والنشر والخسارة في مخالفهم^(١).

ويمضي الاستاذ النورسي في بيان هذا المقصد في رسائل النور نائراً فيه بيان كمالات صفات الانبياء ومعجزاتهم وانهم سر الكون، وانهم الكاشفون لحقائق الاسماء الحسنى ويركز على معجزات النبي ﷺ وكمالاته^(٢)، يشير النورسي في هذا المثال إلى إثبات ثاني المقاصد الأربعة وهو إثبات نبوة محمد ﷺ مستنبطاً ذلك من قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» [البقرة: ٢٣، ٢٤].

فيقول: (اعلم انه كما اثبتت الآية السابقة^(٣) أول المقاصد الأساسية القرآنية وهو التوحيد كذلك تثبت هذه الآية ثاني المقاصد الأربعة وهو إثبات نبوة محمد ﷺ بأكمل معجزاته الذي هو التحدي بإعجاز القرآن. وتعد دلائل نبوته في كتاب آخر^(٤)، فلنلخص بعضها هنا في سبع مسائل^(٥). وهكذا يستمر النورسي في بيان هذه المسائل السبع موضحاً من خلالها إعجاز القرآن الكريم الدال على صدق نبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ، ففي الآية تحدٍ ببرهان ساطع للمنكرين من المشركين في وقته ﷺ وكذلك في كل وقت يظهر فيه من يكذب رسالته ﷺ على أن يأتيوا ولو بسورة من مثل سور القرآن الكريم ذلك البرهان الساطع والنور اللامع والحجة البالغة بيد رسول الله ﷺ، ثم يقرر النورسي ما ينطوي تحت هذا المقصد من نكت وفوائد ومسائل تعود بمجملها إلى أهمية مقصد النبوة في ترسيخ الأخلاق وتحقيق العبودية لله تعالى وتوثيق الاستقامة في السير والصدق في العمل وتقذيع الطباع الشيطانية ونبذ السلوكيات الحيوانية الوحشية والعادات الدنية^(٦). ونجده أيضاً يربط ربطاً دقيقاً بين مقصد النبوة والعبادة

(١) ينظر: للمعات: ١٨٥.

(٢) ينظر: الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي: ٦٥٤، وبديع الزمان سعيد النورسي واثره في الفكر والدعوة، حسن عبدالرحمن بكير: ١٢٩ وما بعدها.

(٣) يعني الآيتين (٢١، ٢٢) من السورة نفسها (سورة البقرة).

(٤) ينظر: الكلمات، الكلمة التاسعة عشرة: (٢٥٢-٢٦٦)، والمكتوبات: (١١٥-٢٨١).

(٥) إشارات الإعجاز: ١٦٤.

(٦) ينظر: إشارات الاعجاز: ١٦٦ وما بعدها.

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف والأخلاق عن طريق قصص الأنبياء فهذا يوسف عليه السلام يدعو في آخر حياته دعاءً يوضح النورسي من خلاله دور الأنبياء في تفعيل الإيمان بالله تعالى عن طريق الاخلاق والعبادة بما فهمه من دعاء سيدنا يوسف عليه السلام وذلك من خلال قوله تعالى ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١] فلقد استلهم النورسي معنى دقيقاً من ختام الآية التي دعا فيها الصديق يوسف عليه السلام في آخر حياته بعد ان اكتمل سعادة وفرحاً دنوياً بلقاء اهله في مصر وهو ان ما وراء القبر سعادة اكبر وفرحاً اعظم لان الآية تخبر ان يوسف عليه السلام نفسه هو الذي يسأل ربه الجليل وفاته لينال سعادة اعظم من هذه السعادة التي يرقل بها ، فبعد أن توفي نال تلك السعادة العظمى ، فذروة الفرح في الدنيا واكثر اوقات البهجة والسرور عند سيدنا يوسف عليه السلام لم تورثه غفلة ولم تفتقره عن طلب الآخرة^(١)، فالنورسي يحث الناس جميعاً والمسلمين خاصة بالسعي وراء لذة الآخرة ورضا رب العزة والجلال لان فيها الفوز العظيم والسرور الخالد ويحثهم على العبادة والأخلاق النبوية، وما ذاك إلا عن طريق مقصد النبوة، وبهذا يتضح التواصل الوثيق بين مقصد النبوة وبين توثيق الصلة بالله تعالى وترسيخ الأخلاق في الإنسان .

ثالثاً : الحشر :

نظراً لما للحشر من اهمية في حياة المسلم المادية والمعنوية، كلف جميع الانبياء بالحث على النظر إليه، خاصة وهم ذوو الارواح النيرة وفي مقدمتهم الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم وجميع الاولياء وهم اقطاب ذوي القلوب المنورة، وجميع الصديقين وهم منابع العقول النافذة النيرة كل أولئك يؤمنون ايماناً راسخاً عميقاً بالحشر ويشهدون عليه ويبشرون البشرية بالسعادة الابدية وينذرون اهل الضلالة بان مصيرهم النار، ويبشرون اهل الهداية بان عاقبتهم الجنة^(٢) . ويشير الاستاذ النورسي الى هذه الحقيقة (مقصد الحشر) على انه ضرورة منطقية وعقلية تفرضها العدالة الكونية، تلك التي حددها خالقها، وقدر موازينها ؛ إذ ليس من الممكن تصور ان الرب الرحيم ذا القدرة المطلقة والحكمة المحيطة، ألا ينشئ (النشأة الأخرى) او يعجز عنها، وهو الذي له ملك السموات والارض وهن مطويات بيمينه من الذرات الى المجرات ويديرها جميعاً ضمن نظام محكم وميزان دقيق ... فسبحان الله عما يصفون^(٣) . وتوضح الحقائق الايمانية في القرآن الكريم كما يراها الاستاذ النورسي في بيان مقصد الحشر على أنه حقيقة كونية لا مرأ فيها ولا تنكرها الافكار ؛ إذ الذي يقوم بأعمال في

(١) ينظر : المكتوبات : ٣٦٣ .

(٢) ينظر : حقيقة مقاصد رسائل النور : ١٦٠ .

(٣) ينظر : الكلمات : ٦٠٩ .

منتهى الاتقان والكمال والانتظام يبذل هذه العوالم السيرة المنشورة على حبل الزمان، ويعقب بعضها بعضاً، كيف يشاء في اطار يظهر منتهى الحكمة والعناية وفي منتهى القدرة والاتقان ؛ ذلك أنه قد ير مطلق وحكيم مطلق وبصير مطلق وعليم مطلق لا يمكن بحال من الاحوال ان تبدو منه المصادفة قطعاً فذللك الخالق الجليل يقول : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل: ٧٧]، ويعلن قدرته المطلقة ويبين ان الحشر والقيامه بالنسبة لتلك القدرة هي في منتهى السهولة واليسر، وان الاشياء كلها مسخرة لأوامره ومنقادة إليها كامل الانقياد، وانه يخلق الاشياء دون معالجة ولا مزاولة ولا مباشرة، ولأجل الافادة عن السهولة المطلقة في إيجاد الاشياء يقرر القرآن المبين انه سبحانه وتعالى يفعل ما يريد بمجرد الامر (١) .

ثم يسير الاستاذ النورسي في بيان هذا المقصد من رسائله مبثوثة هنا وهناك مبيناً اياه وفق اساليب وادلة وبراهين عرض القرآن لهذه المسألة الدقيقة رابطاً بينه وبين فاعليته في ترسيخ مبادئ الإسلام وأخلاقياته، ودوره في توثيق الصلة بالله تعالى والسعادة الدنيوية والأخروية، فيوجه النورسي هم الإنسان ليكتشف بنفسه عن طريق تفكره أن الآخرة حق وصدق، ومن شأن هذا أن يغرس الإيمان بالآخرة في النفوس لتكون الضابط والموجه لها في الحياة ولتبدوا الآخرة كأنها رأي العين، فيكون الإنسان أشد خوفاً من أهوالها وأكثر طمعاً في نعيمها وأكثر استعداداً بالعمل لها، ثم ليكون لحقائقها الأثر الإيجابي في نفوس الناس وسلوكهم (٢)

رابعاً : العدالة :

لقد اعتبر النورسي العدالة مقصداً اساسياً من مقاصد القرآن الكريم ومن ثمَّ عدّها من اعمدة مقاصد رسائل النور، حيث اعتنى الاستاذ النورسي بهذا المقصد وحاول بيان مختلف وجوه حضوره في المقاصد الاخر، كما ويؤكد الاستاذ النورسي في النص المؤسس لمقاصد القرآن من خلال رسائل النور أن العدالة والعبودية مقصد من المقاصد الاربعة الاساسية (٣) .

(١) ينظر : الكلمات : ٢١٣ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه: (٤٨ - ١٢٧ - ٤٩٣ - ٥٩٧ - ٧٩٤)، والمثنوي العربي النوري : (٩٨ - ١٠٠)، والشعاعات : الشعاع الحادي عشر المسألة السابعة : (٢٦٢ - ٢٧٧)، واشارات الاعجاز : (١٨٢ - ٢٠١) .

(٣) ينظر : المثنوي العربي النوري : ٧٥، وينظر : من قضايا القرآن والإنسان في فكر النورسي : ١٤٧ - ١٤٨

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف
ويقول الاستاذ النورسي : (إن لطلاب القرآن وخدامه أزاء هذه المظالم الفظيعة لهذه
الرجعية الوحشية مئات من قوانين القرآن الاساسية من امثال ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(١))
التي تحقق العدالة الحقّة والاتحاد والاخوة . فاطلاق الرجعية على أهل الايمان الذين يحققون
العدل والاخوة، واتهامهم بذلك يشبه ترجيح محاكم التفتيش على عدالة القرآن الكريم
العظيمة^(٢)، ويشير الاستاذ النورسي إلى أن اسس العدالة والانتظام إنما نشأ بتذكير أهل
الدين وارشاداتهم فأسس العدالة والفضيلة شيدها الانبياء عليهم السلام . أي أن الانبياء هم
الذين ارسوا تلك القواعد والاسس، وهم الذين جعل الله لهم الفضل في اشباع حاجة الانسان
الضرورية للعدالة ؛ ذلك أنّ الانسان محتاج الى نبي يمسك بميزان العدالة الالهية النافذة
والمؤثرة في الوجدان والطباع^(٣) .

وقد نظر الاستاذ النورسي الى العدالة من منظور رسائل النور من زاوية مختلفة
متنوعة فيقسمها تقسيمات باعتبارات مختلفة ولكن باختلاف العبارات، فيقسمها تارة الى :
اجابية ويقابلها سلبية^(٤)، وتارة اخرى الى عدالة منظورة وعدالة مسطورة^(٥)، وثالثة الى محضة
واضافية^(٦) وقد حاول الاستاذ النورسي بيان مختلف وجوه حضور مقصد العدالة في مختلف
المقاصد الاخرى^(٧)، فلقد كانت نظرة الإمام النورسي إلى هذا المقصد القرآني شاملة ؛ فالأثر
البين للعدالة يتجلى في كل عقيدة إيمانية، ويتجلى في كل نظام من أنظمة هذا الكون وقوانينه
وسننه، فكل شيء فيه قائم على الحكمة والعدل فالقدر عدل كله وليس فيه ما يخلف العدالة^(٨)،
ويرى النورسي كذلك أن في الصلاة -مثلاً- تأسيس الانقياد لقانون العدالة الإلهية وامتثال
النظام الرياني وإدامة تصور عظمة الصانع في القلوب وتوجه العقول إليها^(٩)، ويتضح لنا من
خلال ما مرّ أن النورسي يجعل من العدالة مقصداً قرآنياً له أثره الجلي في الإنسان عقيدة

(١) سورة الانعام : ٦٤ .

(٢) ينظر : الملاحق : ٣٧٤ .

(٣) ينظر : صيقل الاسلام : ١٣٩ .

(٤) ينظر : الكلمات : ٩١ .

(٥) ينظر : للمعات : (٥٠٥، ٥٠٦)، والشعاعات : ٢٦٤ .

(٦) ينظر : المكتوبات : (٦٧، ٦٨-٣٣٧، ٣٣٨)، وصيقل الاسلام : ٣٣٧ .

(٧) ينظر : حقيقة مقاصد رسائل النور : (١٨٩-٢٠٤)، من قضايا القرآن والإنسان في فكر

فكر النورسي: ٩٠-٩١ .

(٨) ينظر : صيقل الإسلام : ٥٥١ - ٥٥٢

(٩) ينظر : إشارات الاعجاز : ٥٢ - ٥٣ .

وسلوفاً وإيماناً وعملاً وعبادة وما ذاك إلا يمثل المرمى والمقصد والهدف الذي جاء القرآن من اجله .

وفيما يأتي مثال من خلال تفسير النورسي للبسملة والحمدلة من سورة الفاتحة نبين فيه مقاصد القرآن الأربعة وأهميتها لديه في تحقيق العبادة وترسيخ الأخلاق في البشرية : قال النورسي : (إن قلت : ارني هذه المقاصد الأربعة في ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ قلت: لما أنزل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ لتعليم العباد كان (قُلْ) مقدراً فيه، وهو الأم في تقدير الأقوال القرآنية، أي : يا محمد، قل هذا الكلام وعلمه الناس، فعلى هذا يكون في (قل) اشارة الى الرسالة وفي ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ رمز الى الالهية ... وفي تقديم الباء تلويح الى التوحيد حيث يفيد الحصر ... وفي ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ تلميح الى نظام العدالة والاحسان ... وفي ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ ايماء الى الحشر .

وكذلك في ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ اشارة الى الالهية ... وفي لام الاختصاص رمز الى التوحيد ... وفي ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ايماء الى العدالة والنبوة ايضاً ؛ لان بالرسول تربية نوع البشر وفي : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] تصريح بالحشر^(١) .

ثم بعد إظهار المقاصد الأربعة من هاتين الآيتين من الفاتحة يشير النورسي الى وجه النظم منهما ومدى أهمية المقاصد الأربعة في الإنسان على اعتباره المخاطب في القرآن دنيوياً وأخروياً سعادةً وفلاحاً وإيماناً وعبادة أخلاقاً وسلوكاً^(٢) .

(١) اشارات الاعجاز : ٢٤ - ٢٥ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦ - ٢٧ .

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ...

فلما كان لهذا العمل هدف نصبو إليه ومقصد نرتجيه كان لزاماً علينا أن نبين أهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي لمعت من خلال هذا البحث ؛ غاية منا في إيصال أهداف القرآن ومقاصده للقارئ الكريم من خلال التفسير القرآني في رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي وما لها من أثر في الإنسان إيماناً وعبادةً ومعرفةً وسلوكاً وهي :

١- اتفق العلماء قديماً وحديثاً على أن للقرآن مقاصد وغايات وأهدافاً جعلها الشارع الكريم أساساً تتبني عليه هذه الشريعة في أحكامها وبناء مجتمعها القائم على بنين الله على الأرض ألا وهو الإنسان الذي خلقه الله تعالى على وجهها .

٢- لم يتفق العلماء على تحديد هذه المرامي والأهداف والمقاصد بشكل خاص فمنهم من ذهب إلى أن مقاصد القرآن ستة ومنهم من ذهب إلى أنها أربعة ومنهم من ذهب إلى أنها ثلاثة في حين ذهب آخرون إلى أنها ثمانية ولكنهم اتفقوا على أن هذه المقاصد هدفها هو بيان العلاقة بين الإنسان الفرد مع ربه والإنسان مع أخيه الإنسان كجماعات ومجتمعات وكل ما يدخل تحت هاتين العلاقتين من توحيد وتشريع وأخلاق .

٣- ذهب النورسي إلى أن المقاصد الأصلية للقرآن الكريم أربعة وهي : التوحيد والنبوة والحشر أو القيامة والعدالة وذكر في غير ما موضع أن القرآن الكريم قد احتشد بهذه المقاصد حتى لا تكاد تخلو آية من آيات القرآن الكريم فضلاً عن سوره منها صراحة أو إشارة

٤- بين النورسي ما لهذه المقاصد من أهمية كبيرة ودور بارز في ترسيخ الإيمان وتوثيق الصلة بالله تعالى وكذلك ما لها من أثر واضح في تحقيق العبادة وإبراز القيم والأخلاق في نفس المسلم والإنسان وأهمية ذلك كله في بناء مجتمع يمتلك مقومات التعايش الإيجابي فيما بينه حتى يسود الوئام والسلام .

٥- ، اتضح لنا من خلال مقصد التوحيد الدور الكبير والمؤثر العظيم له في ترسخ الأخلاق وتوثيقها وتحققها في الإنسان حيث جعل النورسي من العبادة في المثال الذي أوردناه مذكراً يتكرر وعملاً متجدداً لإدامة التصور لوحداية الله تعالى ورسوخ العقائد والأخلاق .

٦- يقرر النورسي ما ينطوي تحت مقصد النبوة من نكت وفوائد ومسائل تعود بمجملها إلى أهميته في ترسيخ الأخلاق وتحقيق العبودية لله تعالى وتوثيق الاستقامة في السير والصدق في العمل وتقذيع الطباع الشيطانية ونبذ السلوكيات الحيوانية الوحشية والعادات الدنية، وبهذا يتضح التواصل الوثيق بين مقصد النبوة وبين الصلة بالله تعالى بالعبادة وترسيخ الأخلاق في الإنسان.

٧- يشير الاستاذ النورسي في بيان مقصد الحشر والقيامة من رسائله مبثوثة فيها وفق اساليب وأدلة وبراهين عرض القرآن لهذه المسألة الدقيقة رابطاً بينه وبين فاعليته في ترسيخ مبادئ الإسلام وأخلاقياته، ودوره في توثيق الصلة بالله تعالى والسعادة الدنيوية والأخروية، فيوجه النورسي همّ الانسان ليكتشف بنفسه عن طريق تفكره أن الآخرة حق وصدق، ومن شأن هذا أن يغرس الإيمان بالآخرة في النفوس لتكون الضابط والموجه لها في الحياة ولتبدوا الآخرة كأنها رأي العين، فيكون الإنسان أشد خوفاً من أهوالها وأكثر طمعاً في نعيمها وأكثر استعداداً بالعمل لها، ثم ليكون لحقائقها الأثر الإيجابي في نفوس الناس وسلوكهم .

٨- وقد حاول الاستاذ النورسي بيان مختلف وجوه حضور مقصد العدالة في مختلف المقاصد الأخرى التي ذكرها من قبل ؛ إذ كانت نظرة الإمام النورسي إلى هذا المقصد القرآني شاملة ؛ فالأثر البين للعدالة يتجلى في كل عقيدة إيمانية، ويتجلى في كل نظام من أنظمة هذا الكون وقوانينه وسننه، ويتضح لنا من خلال ما مرّ أن النورسي يجعل من العدالة مقصداً قرآنياً له أثره الجلي في الإنسان عقيدة وسلوكاً إيماناً وعملاً وعبادة وما ذاك إلا يمثل المرمى والمقصد والهدف الذي جاء القرآن من أجله .

٩- وأما ما يتعلق بالتوصيات فيمكن أن نلخصها في هذه النقطة حيث وجدنا من خلال البحث أهمية مقاصد القرآن الكريم ومراميه وغاياته وعليه نهيب بالباحثين أن يوجهوا أقلامهم إلى هذه المواضيع المفيدة بما يحقق الغاية المنشودة من فهم كتاب الله وبالتالي ما لهذا الفهم من أثر واضح في تطبيق شرع الله ولذلك من دور بارز في ترسيخ المفاهيم الأخلاقية والقيم الإسلامية في نفوس البشرية بما يحقق لهم العيش في ظل سماحة الإسلام وعدله، كما ويمكننا القول بأن في رسائل النور مساحة واسعة يمكن أن تعين الباحثين في التوجه إليها ليجدوا لهم مكاناً في البحث العلمي الأكاديمي لا سيما في الحقل القرآني المبارك إذا ما علم الباحثون أن رسائل النور هي تفسير قيم للقرآن الكريم في استخراج الحقائق الإيمانية منه .

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف

ثبت المصادر والمراجع

١. إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: احسان قاسم الصالحي، ط٥، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .
٢. الاسلام على مفترق طرق رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النورسي مجموعة بحوث تاريخ حياة سعيد النورسي، شكران واحدة، تحرير وتقديم: ابراهيم ابو ربيع، ترجمة : محمد فاضل، ط١، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥ م .
٣. الاسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان النورسي، شكران واحدة، ترجمة: محمد فاضل، شركة سوزلر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧ م .
٤. إلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت ،دار الشروق ،القاهرة_مصر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٥. بديع الزمان وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث حسن عبدالرحمن بكير الى كلية الدعوة الاسلامية قسم الدراسات العليا شعبة القرآن الكريم وعلومه بطرابلس، ليبيا، سنة ١٩٩٧ م .
٦. تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، (ت:١٢٠٥هـ) ، دار الهداية .
٧. التحرير والتنوير ،محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التتوسي ،(ت:١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس، ١٩٩٧م .
٨. تفسير المنار (تفسير القرآن الكريم)،محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد شمس الدين الحسيني، (ت:١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٠م .
٩. جواهر القرآن، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت:٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، ط٢، دار احياء العلوم، بيروت، ١٩٨٦ م .
١٠. حقيقة مقاصد رسائل النور استمدادها وامتدادها، عمار جيدل، ط١، دار النيل، القاهرة، ١٤٢هـ-٢٠٠٥ م .
١١. دور كليات رسائل النور في يقظة الامة، خديجة النبراوي، ط١، شركة سوزلر، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٩م .
١٢. سعيد النورسي رجل القدر في حياة امة، اورخان محمد علي، ط٣، شركة سوزلر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦ م .
١٣. سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، اعداد وترجمة : احسان قاسم الصالحي، ط٥، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .

١٤. الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : احسان قاسم الصالحي، طه، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .
١٥. صيقل الاسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : احسان قاسم الصالحي، طه، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .
١٦. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين بن عبد السلام (ت:٦٦٠هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٧. الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: احسان قاسم الصالحي، طه، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .
١٨. اللغات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : احسان قاسم الصالحي، طه، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .
١٩. المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق : احسان قاسم الصالحي، طه، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .
٢٠. محكم المحيط الاعظم، ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق : عبد الحميد هنداوي، ط١، الكتب العلمية، بيروت، ١٣٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
٢١. المدخل إلى مقاصد القرآن، عبد الكريم حامدي، ط١، مكتبة الرشد المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٢٢. المصطلحات الأربعة في القرآن، أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي (ت:١٢٩٩هـ)، تقديم محمد عاصم الحداد، تخريج : محمد ناصر الدين الألباني، لاهور، الهند، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م .
٢٣. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي ، ط٢، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٤. مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي (ت:٦٠٤هـ)، تحقيق وتعليق: عماد زكي الارودي، تقديم: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٥. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر .
٢٦. المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : احسان قاسم الصالحي، طه، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .

مقاصد القرآن وفاعلية دورها في ترسيخ مفهوم العبادة..... د. حيدر خليل ود. عمار يوسف

٢٧. الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة : احسان قاسم الصالحي، ط٥، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨ م .
٢٨. من الفكر الى القلب، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م.
٢٩. من قضايا القرآن والإنسان في فكر النورسي نظرة تجديدية ورؤية إصلاحية، زياد خليل الدغامين، ط١، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٩م .
٣٠. منهج وطريقة رسائل النور وغايتها، شندلك، ترجمة : اورخان محمد علي، بحث القى في وقائع ندوة بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الاسلامي، مطبعة نسل، استانبول، تركيا، ١٩٩٢م .
٣١. لسان العرب، الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور، (ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر بيروت، ١٤١٤ هـ .

Purposes of Qur'an and its rolls in consolidating the concept of worship and morals through Qur'an interpretation, Rasaan Alnoor as a sample

Assistant Professor

Haidar Khalil AlKhalidi

University of Mosul / College of Education for Human sciences

Assistant Professor

Ammar Yousif AlAbbasi

Abstract

Obviously, scholars of Islamic nation are taking their responsibility of upgrading the Muslim young people , solving the problems, and removing what stuck in this religion of impurities by separating the Quranic morals and Sunna instructions among Muslims . The events of the end of 19th and the beginning of 20th century of catastrophes and conflicts with the western thoughts motivate Muslim scholars to take their role in guiding the Islamic nation to the safe side . One of those great scholars was Saeed Al-Norsee who interested in human developments and cleaning oneself to worship Allah ; not like animals who are created without mind . Al-Norsee depend mostly on Quran , so in all his books you can notice that . In his book "Rasa'al Al-Noor" he adopt different ways of promoting the soul, manners, and morals of oneself ; all these issues are taken from Quran in a way or another .

The aim of this research is the same of Al-Norsee's one when he want to create a kind of interaction between the Muslim and his religion to live peacefully in this life .

The research is divided into three parts . The first one is a brief biography about Al-Norsee and his book "Rasa'al Al-Noor" . The second one was about the relation between Muslim scholars and the essence of Quran ; and its role in establishing the morals among people . As for the third part, it highlights the essence of Quran according to some of Al-Norsee's explanations and its important role .